

ناجي الصغير
يتعرف إلى
كنوز البحر الأحمر

نص: سليمان الشيخ
رسوم: سرور علواني

ناجي الصغير

يتعرف إلى

كنوز البحر الأحمر

نص: سليمان الشيخ
رسوم: سرور علواني




تمّ توثيق المعلومات الواردة في هذا الكتاب من قبل PERSGA

PERSGA
دار الحدائق

لم أنم في تِلكَ الليلةِ التي عَلِمتُ فيها أنّ جدّي قرّرَ الموافقةَ على آصطِحابي معهُ على مركَبِنا لإحضارِ شُحنةٍ من البُنّ من ميناءِ عدنَ، ومُتابعةِ نقلِ البضائعِ الأُخرى إلى موانئِ البحرِ الأحمرِ، إذْ إنّني كُنتُ قد أَلْحَحْتُ عليه كثيراً، ووَسّطتُ جدّتي وأَبي وأُمّي وأَحدَ أَعمامي، وفي مُناسباتٍ عديدةٍ، كي يُحقّقَ لي رغبتي، إلاّ أنّهُ كانَ يُجيبُ: ما زِلتَ صغيراً.

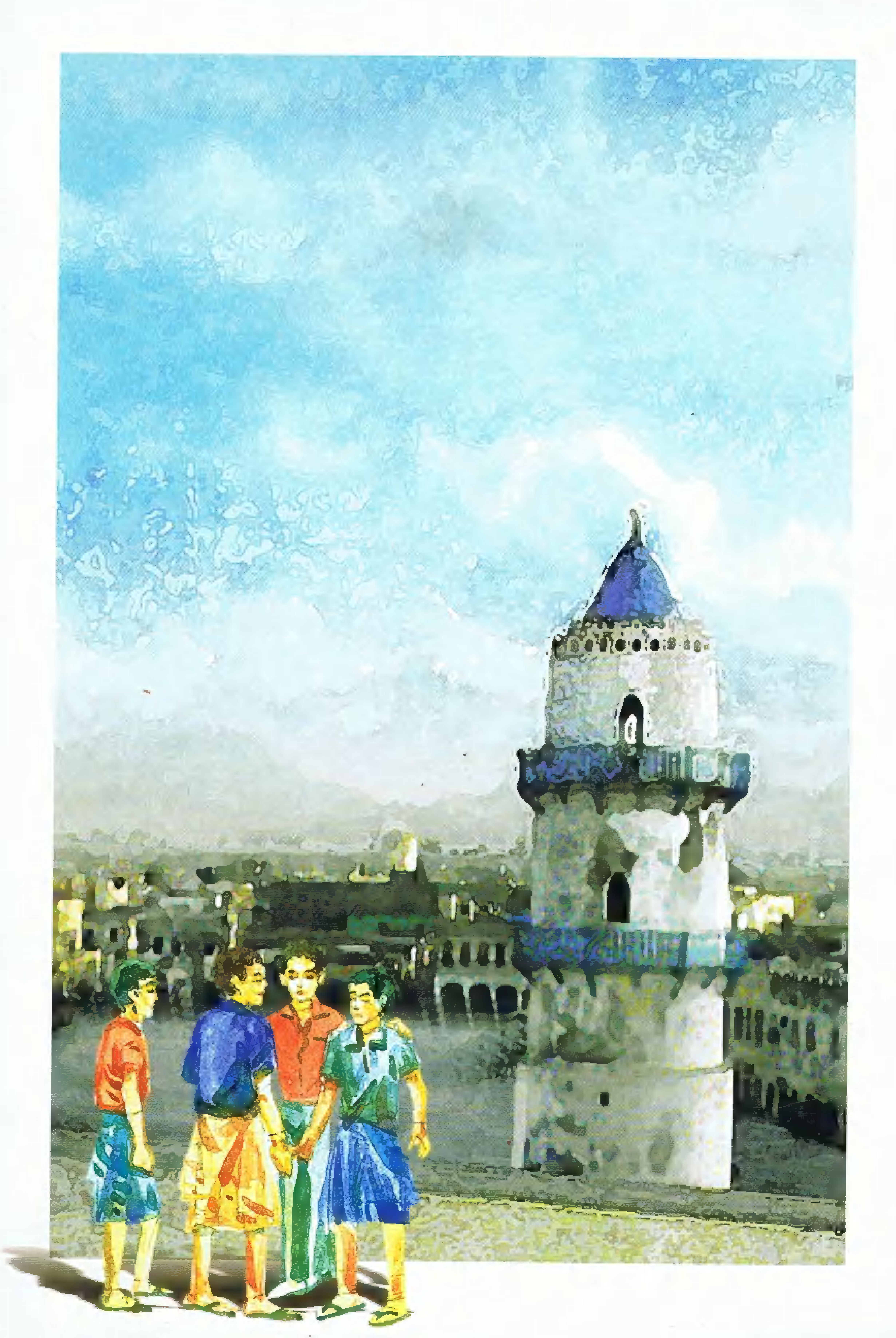
صحيحٌ أنّني ذَهبتُ في رِحْلاتٍ سابقةٍ إلى عدنَ، لكنّني كنتُ صغيراً وأَذْهبُ لِرُؤْيةِ بعضِ أَقاربي في مُناسباتٍ مُعيّنةٍ، وليسَ في رِحلةِ تَعرُّفٍ وعَملْ.

في إجازَتي المدرسيَّةِ الأخيرةِ، وعِنْدما بلغَ عُمري خمسَ عشرةَ سنةً، همسَ في أُذُني: حضِّرْ نفْسكَ، ستكونُ منْ ضِمنِ بَحّارةِ مركبِ «اليَمن» في الرِّحلةِ القادمةِ. فَرِحْتُ كثيراً، وهجمْتُ عليهِ أُقبِّلُهُ وأَحْضنُهُ شاكِراً، ثُمّ خرجتُ منَ البيتِ راكِضاً نحوَ ساحةِ محمودْ حربي* التي كُنتُ أَلتقي فيها معَ أَصحابي، فوجدتُ بعضَهُمْ، فنقلْتُ لهُمُ الخبرَ - الحُلْمَ، وأَنا أَتَلَعْثَمُ ولا أَكادُ أَلْتقِطُ أَنفاسي، ففرِحوا لِفرحي، وتمنَّوا لو رافقوني في هذه الرِّحلةِ، ثُمَّ هتَفوا: سفراً سعيداً، وعَوْداً حميداً، وأَمْطروني بِطلباتِهِم الّتي تتضمَّنُ أَلعاباً وهدايا بمواصفاتٍ وأَلوانٍ وأشكالٍ مُعيّنةٍ.

تقلْقَلَ نوْمي في الأَيّامِ التّاليةِ، وأَخذْتُ أَحلُمُ بِموانئِ البحرِ وأَسماكِهِ وشعابِه المرجانية وما بهما من رخويات وإسفنج... ومُغامراتٍ ومُلاحقاتٍ وصِراعاتٍ، كما حَلِمْتُ بِالمَدينَةِ الّتي وُلِدَ فيها أَجدادي (عَدنَ) الّتي ما زالَ لي فيها بقايا منْ أهلٍ وأَقاربٍ.

بلْ إنَّني أَخذتُ أَسأَلُ جَدّي وأَساتِذَتي وأَصدِقائي، عنْ كُتُبٍ أَجِدُ فيها معلوماتٍ عنِ البحرِ الّذي يجمَعُ بينَ جيبوتي وعدنَ والبلدانِ الأُخْرى الواقعةِ على شواطِئِه.

* ساحة مشهورة في جيبوتي سُميت بإسم مناضل سقط صريع المطالبة بالاستقلال.



عفواً... لا تؤاخِذوني... فالفرحةُ جعلتْني أَنسى أَنْ أُعَرِّفَكُم على نفْسي وعلى وطني الجديدِ الّذي جاء إليهِ جَدُّ جدّي مُنذُ زمنٍ قديمٍ.

الناجي

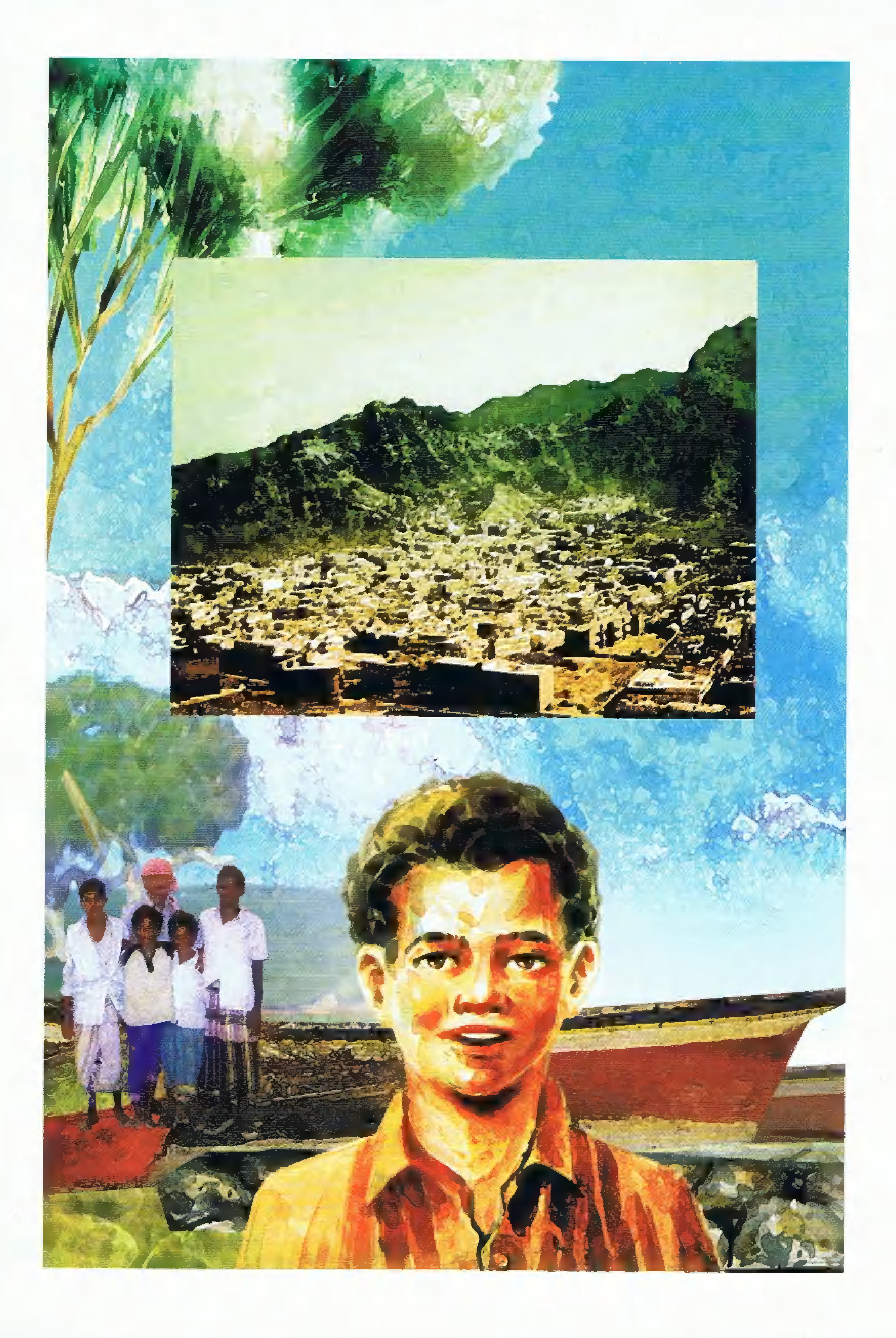
أنا آسمي ناجي سعيد ناجي سعيد ناجي الناجي، ويَبدو أنَّ تَكرارَ اسمِ «الناجي» في عائِلتِنا جاءَ منْ حادثةٍ ما حَدثَتْ لأَحدِ أَجدادي في البحرِ، فَنجا منْها.

موْطِنُنا الأَصْليُّ كانَ وما زالَ في حيِّ كريتَرْ، بِالقُربِ منْ صهاريجِ الماءِ القديمةِ المَنْحوتَةِ والمنقورةِ في الجبلِ بِعدنَ. وما زالَ لي أَعمامٌ وأَخوالٌ وأَقارِبُ هُناك.

ولأَنَّ أَفراداً عديدينَ منْ عائِلتِنا آتّخذوا التّجارةَ في البحرِ مِهنَةً لهُمْ، فإنَّ جدَّ جدّي، وبِحُكمِ تنقُّلاتِه في البحرِ وسعيهِ وراءَ الرِّزقِ في التّجارةِ، توطَّنَ في جيبّوتي، وآستقرَّ بهِ المقامُ فيها وتَزوَّجَ وأَنْجبَ، لكنَّهُ لم يقطعْ صِلَتَهُ ببَلَدِهِ اليَمنِ، وبِعدنَ بالذاتِ، فكانَ يأْتي بِالبُنّ وبغَيرِهِ منَ السِّلعِ منْ هُناكَ، ويأْخُذُ الفواكِهَ والخضْرواتِ الّتي تَصِلُ إلى جيبّوتي منْ أَثيوبيا الّتي لا تُطِلُّ على البحرِ الأَحمرِ، ويَنْقُلُها معَ غيرِها منَ السِّلعِ منْ جيبّوتي إلى عَدنَ وإلى غيرِها منْ موانِئِ البحرِ الأَحمرِ.

واستمرَّ الحالُ كذلِكَ معَ أَجدادي الآخرينَ، حتّى بعدَ أن آستقلّت اليمنُ - جنوبُها - وجيبّوتي عنِ الاستِعمارَيْنِ الإنكليزيِّ والفَرنسيِّ.







معرفة مستمرة

لا تؤاخِذوني ثانيةً، فأنا ومنْ كَثرَةِ ما قرأتُ واستمَعْتُ إلى معلوماتٍ عنِ المِنطقةِ، فإنّني أجِدُ نفسي مُسْتطرِداً في الحديثِ وتَسميعِ المعلوماتِ، كأنّني في صَفٍّ مدرَسيٍّ.

في الأيّامِ القليلةِ الّتي سبقتْ قيامَنا بالرِّحلةِ، رآني جدّي وأنا أُحضِّرُ الكُتبَ وأجمعُ الصُّورَ فقالَ: حسناً فعلْتَ، ستُساعِدُكَ الكُتبُ للتّعرُّفِ إلى البحرِ الأحمرِ وكُنوزِهِ، وستُجيبُكَ على أسئِلَتِكَ الكثيرةِ.

بادَرْتُ جدّي سائِلاً: ذكرْتَ يا جدّي البحرَ الأحمرَ وكنوزَهُ، فما هي الكنوزُ الّتي تَعنيها؟

إبتسمَ جدّي، وربَّتَ على كتِفي... وعلّقَ: ألَمْ أَقُلْ لكَ إنَّكَ كثيرُ الأسئِلةِ؟ كُنوزُ البَحرِ يا ولَدي هي ما يَحويهِ منْ أشياءَ جامِدَةٍ وحيَّةٍ، سَتراها وستَمَسُّها، وستتعامَلُ معها بنَفْسِكَ أثناءَ رِحلَتِنا هذه.





وبدأت الرحلة

وهكذا غادَرْنا ميناءَ جيبّوتي في مَرْكَبِنا «اليَمنِ» قِبلَ طُلوعِ شَمْسِ يومٍ منْ أَيّامِ الصّيفِ الحارِّ، بعْدَ وداعِ الأَهلِ والأَقاربِ. كان على المرْكبِ عشرَةٌ من البَحّارةِ، بمَنْ فيهم جدّي وأَبي وأنا.

المسافةُ ليستْ بعيدةً بينَ مينائَيْ جيبّوتي وعدَنَ. بعدَ ساعةٍ أو أكثرَ بِقليلٍ سنكونُ في عدنَ إنْ شاءَ اللّهُ تعالى، هكذا قالَ لي أَحدُ البَحّارَةِ وهو يُرتِّبُ صناديقَ الفاكِهَةِ والخَضْرواتِ على المَرْكَبِ.

بَزَغَتِ الشَّمْسُ، وأَخذَتْ تَلْسَعُنا بِسياطِ حرارتِها العاليةِ، فبادَر البَحّارةُ إلى تركيبِ قُماشٍ أبيضَ كالأَشرِعَةِ في أماكِنَ عِدَّةٍ على المَركَبِ، معَ أنَّ هديرَ آلاتِ التّشْغيلِ كانَ يرّجُّهُ رجّاً، فَخَفَّفَ ذلِكَ منْ حرارةِ الشّمسِ.

أَفْرَحَني جَدّي بِمُفاجَأَةٍ لَمْ أَكُنْ أَتوقَّعُها، فقد ناوَلَني قِطعةً منْ قُماشٍ وَخِنجَراً وقُبَّعَةً ومِظَلّةً وحِزاماً، وقالَ:

هذا «وِزارٌ» يَمَنيٌّ لِحمايَةِ نِصْفِكَ الأَسْفلِ منَ الشّمْسِ، ولِيُساعِدَكَ على حُرِّيَّةِ الحركةِ، والخِنْجَرُ كيْ تُدافِعَ بهِ عنْ نَفسِكَ، أَمّا القُبَّعةُ والمِظَلّةُ فهُما لِحمايَتِكَ منْ حرارةِ الشّمسِ.

شَكَرْتُ جدّي، وانْطَلَقْتُ إلى غُرفةِ النّومِ في المَرْكَبِ، ولَبِسْتُ ما أَهْداني إيّاهُ جدّي. فرِحَ أَبي لِزِيِّي الجديدِ وبارَكَ لي فيهِ، وقالَ: آمُلُ أَنْ تكونَ عِنْدَ حُسْنِ ظَنِّ جدِّكَ بِكَ. ضَحِكَ أَحَدُ البَحّارَةِ عِندَما رآني أَتَنقَّلُ على المَرْكَبِ بِلباسي الجَديدِ، وقالَ: أَهلاً بِأَبي مِظَلّة، لقدْ أَصبَحْتَ الآنَ، يَمنِياً حتّى في المَظْهَرِ.



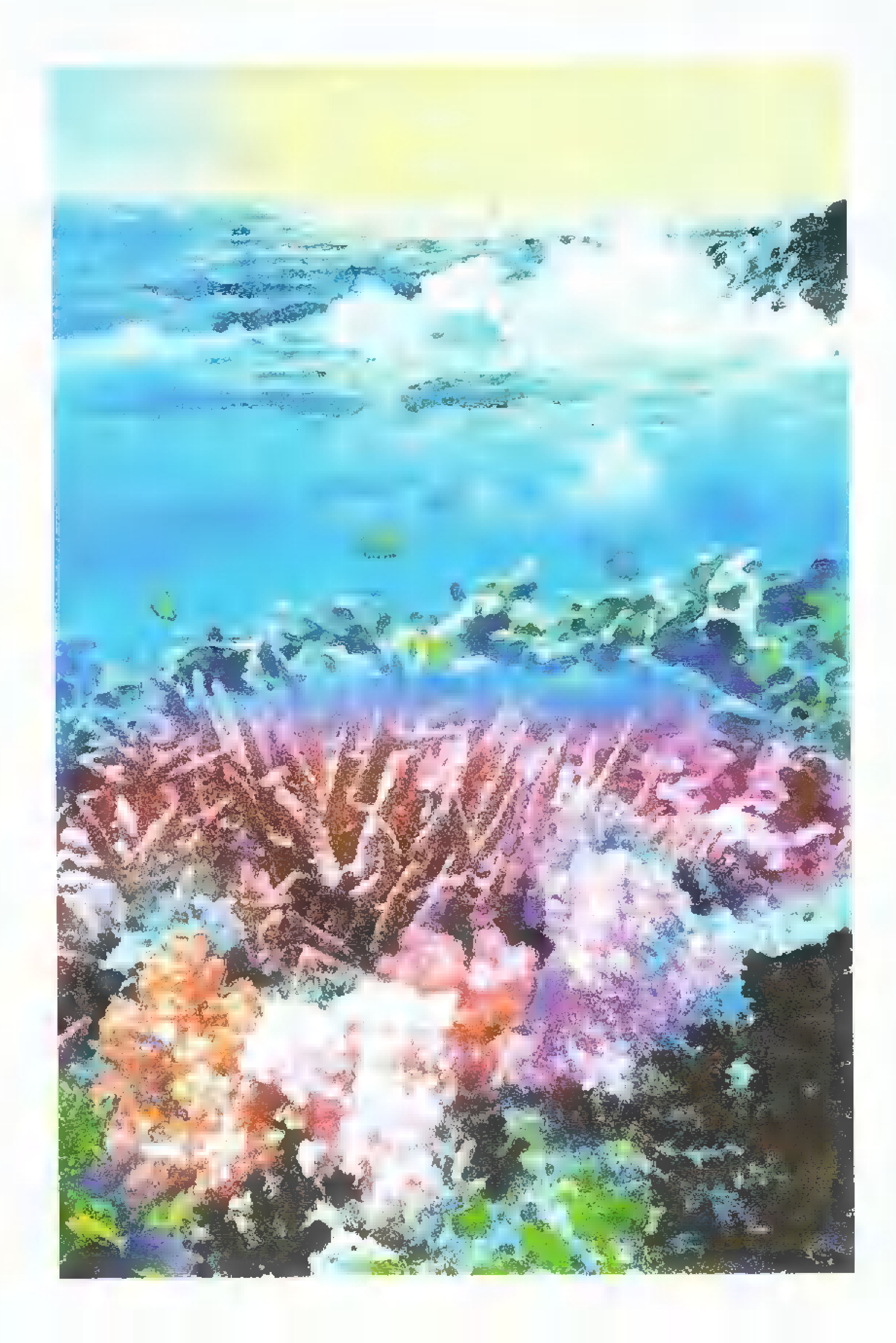


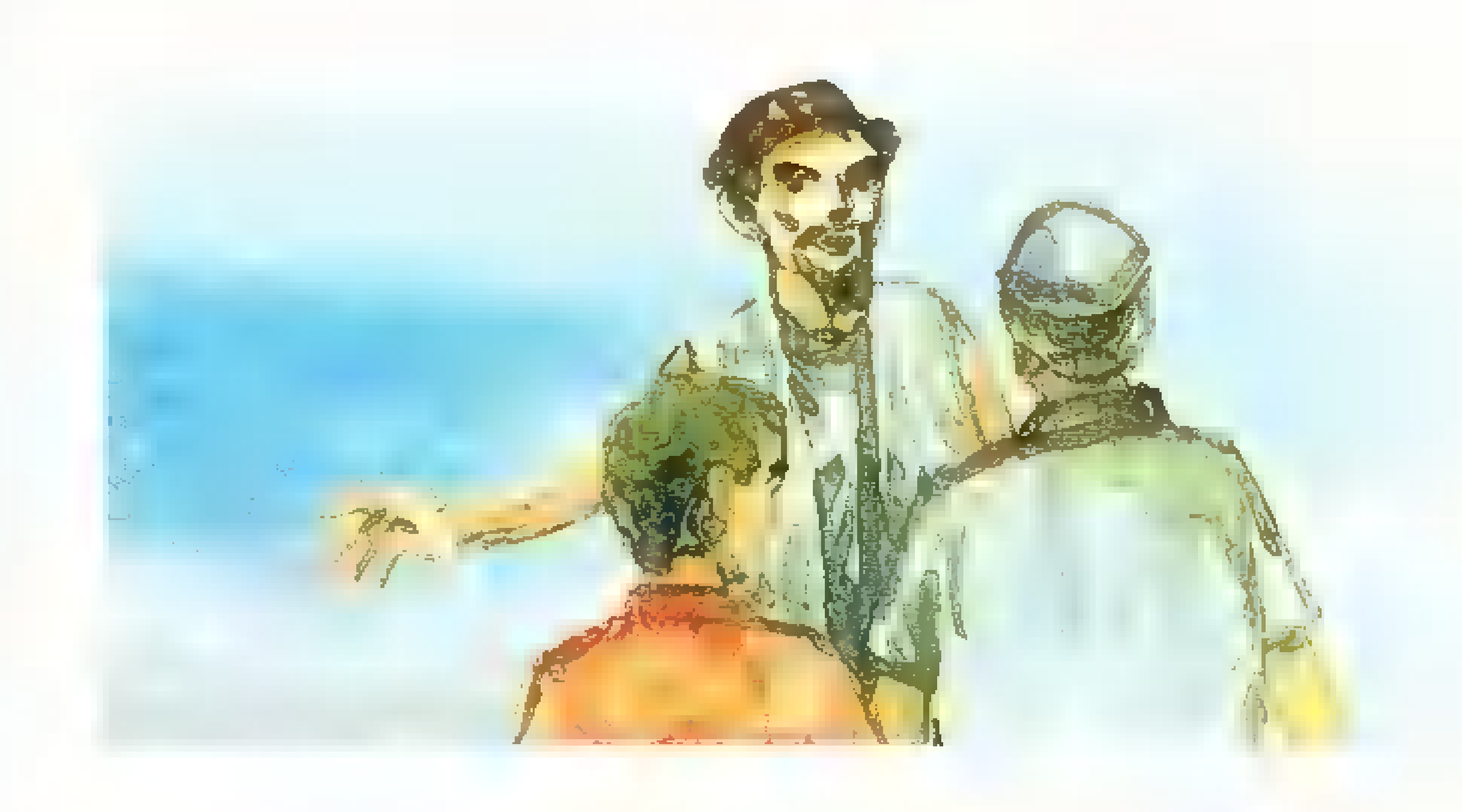
تابَعْتُ جَوْلَتي على ظَهرِ المَركَبِ، وأَخَذْتُ أُدَقِّقُ بما أَراهُ في مياهِ البحرِ الصّافِيَةِ، فلاحَظْتُ أنّ حُمْرَةً تَغلبُ على بعضِ النّباتاتِ والطّحالِبِ والإِسْفَنْجِ والصُّخورِ الّتي كانتْ تظهرُ واضِحَةً في بعضِ الأماكِنِ.

في هذهِ اللّحْظةِ، لمَحَني جدّي فقادَني إلى جانِبٍ منْ جوانبِ المَرْكَبِ، كانَ يُطِلُّ بِوضوحٍ على مياهِ البحرِ وقالَ: إنّ ما رأيتَهُ وما تراهُ منْ شِعابٍ مَرجانيّةٍ ونباتاتٍ، وحتّى طحالِبَ وغيرِها، تعتمد في غذائها على أَشّعةِ الشّمسِ الّتي تُساعِدُها على النّموّ.. رُبّما لا تعيشُ لوْ وُجِدَتْ في الأعماقِ المُعْتِمَة. أما اللون الأحمر فربما يكون نتيجة لازدهار بعض الطحالب الذي يُكْسِبُ البحرَ هذا اللون وتسمى بظاهرة المدِّ الأحمر.

تَركتُ جدّي يسْرُدُ لي هذه المعلوماتِ، معَ أَنّني كُنتُ قد سَمِعْتُها مِراراً منْ أستاذِ الجغرافيا والعلوم، لأنّني كنتُ أطمَعُ إلى المزيدِ ممّا يمْلِكُ منْ خِبرَةٍ.







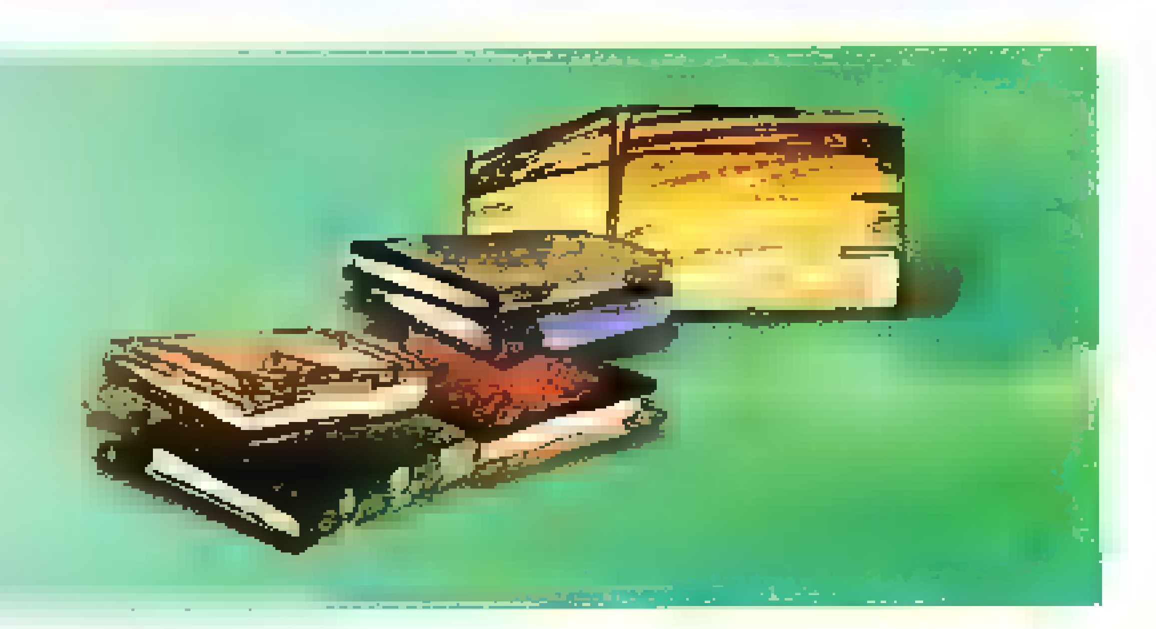
بحر المرجان

أَضافَ جدّي: وربّما جاء آسمُ البحرِ الأَحمرِ منْ هذهِ الظّاهرَةِ الّتي تزدهر وتظهرَ في سواحِلِ البحرِ الأحمرِ جميعِهِ، منْ شمالِهِ إلى جَنوبِهِ.

سَأَلْتُ جدّي: ولِماذا يتمُّ ذلِكَ في البحرِ الأَحمرِ بالذّاتِ، وما شِمالُ وجنوبُ هذا البحرِ؟

إبْتسمَ جَدّي وعلّقَ: ها أَنتَ تَسألُ أَسْئِلَةً دقيقةَ المُلاحظةِ، على كُلٍّ... ما أَعرِفُهُ يا ولدي... إنَّ لِكُلِّ مكانٍ مُمَيِّزاتِهِ الخاصّةَ، ومنْ خصائِصِ البحرِ الأَحمرِ أنَّ حرارةَ المياهِ فيهِ تصِلُ إلى اثنتين وثلاثين درجةً مِئويّةً في الصيفِ، وتقِلُّ إلى عشرين درجةً في الشِّتاءِ، كذلِكَ فإنَّ المَرجانِ لا يَنْمو في أعماقٍ مُعْتِمَةٍ، بَلْ على الأَطرافِ صافيَةِ المياهِ، وتَصِلُها أَشِعةُ الشّمْسِ بِوضوحٍ، أَيْ إنّ بيئَةَ البحرِ الأحمرِ تُساعِدُ على توْليدِ ونُموِّ المَرجانِ وغيرِهِ.

نادى أَحَدُ البَحّارَةِ جَدّي، وطَلَبَهُ لِيسأَلَهُ عنْ أمرٍ يتعلّقُ بالمَركَبِ... فقالَ لي وَهُوَ يتوجّهُ نَحْوَهُ: عِنْدَكَ الكُتُبُ، حاوِلْ أنْ تَجِدَ فيها بعْضَ الأَجوِبَةِ... أَلَمْ نتّفِقْ على ذلك؟



ذهبْتُ إلى صُندوقِ حاجاتي وتَناولْتُ مِنْهُ أحدَ الكُتُبِ، فقرأْتُ: «**يقعُ البحرُ الأحمرُ بينَ قارّتي آسيا وأفريقيا، ويبْلغُ طولُهُ ألفاً وتِسعَمئةٍ وثلاثينَ كيلومتراً، وعَرضُهُ يختَلِفُ بِحسبِ المكانِ، ويبلغُ في المُتوسّطِ حوالى مِئتينِ وأربعين كيلومتراً، وأقْصى عرْضٍ لهُ يبلغُ ثلاثمئةٍ وستّةَ كيلومتراتٍ بينَ مينائَيْ مُصَوّعَ في أريتريا، وجيزانَ في المملكةِ العربيةِ السّعوديّةِ. أمّا مِساحتُهُ الإجماليّةُ فتصِلُ إلى أربعمائةٍ وثمانيةٍ وثلاثينَ ألفَ كيلومترٍ مربّعٍ.**

ويكادُ البحرُ الأحمرُ يَختَنِقُ عندَ مضيقِ بابِ المَنْدبِ، بالقُرْبِ منْ مدينةِ عدنَ اليَمَنيّةِ جنوباً، وعِندَ بدايةِ خليجَيْ السّوَيْسِ في مِصْرَ والعقَبَةِ في الأُرْدُن شِمالاً».

رَفَعْتُ رأسي عنْ أَوْراقِ الكِتابِ وأَخَذْتُ أَتَمَعّنُ في البحرِ وأمواجِهِ. جاءَ جدّي... وسَأَلَ: ها... هلْ وَجدتَ ضالّتكَ في الكِتابِ يا بُنيّ؟

أَجَبْتُ: نَعَمْ يا جدّي، أَقْرأُ وأُعيدُ وأنا في غايةِ الشّوقِ لِمعرفهِ المَزيدِ عنْ هذا المَرجانِ؛ بالمُناسبَةِ قُلْتُ لِجَدّي مُسْتدركاً: هلْ تَعرِفُ يا جدّي أنّ المَرجانَ حيوانٌ؟ تنهَدَ جدّي وقال: صحيحٌ أنّي لمْ أتَعَلّمْ مِثلَكَ في مدارسَ لكنّنا نَحنُ البَحّارةَ نسمَعُ منْ بَعْضِنا. نعمْ هوَ حيوانٌ بحريٌّ، معَ ذلكَ فهوَ بِتكويناتِهِ وتَجمُّعاتِهِ يُعتبَرُ ثَرْوةً نادِرَةً وجَميلَةً ومُلوّنَةً في البحرِ الأحمرِ، ورُبّما فصّلَتِ الكُتُبُ عنْ هذهِ الثّروةِ النّادِرةِ، وحبّذا لوْ تقرأُ لي ولِوالدِكَ... ما كُتِبَ عَنْهُ يا بُنَيّ.


البحر الأحمر
عدن
باب المندب

علّقْتُ بِسرعةٍ وآرتباكٍ: العَفْوَ... لمْ أكُنْ أقصدُ يا جدّي، وأخذْتُ أُقلّبُ صفحاتِ الكِتابِ الّذي كنتُ أحمِلُهُ، ثُمّ توقّفتُ عِندَ صفحةٍ مُعيّنةٍ، وأخذْتُ أقرأُ:

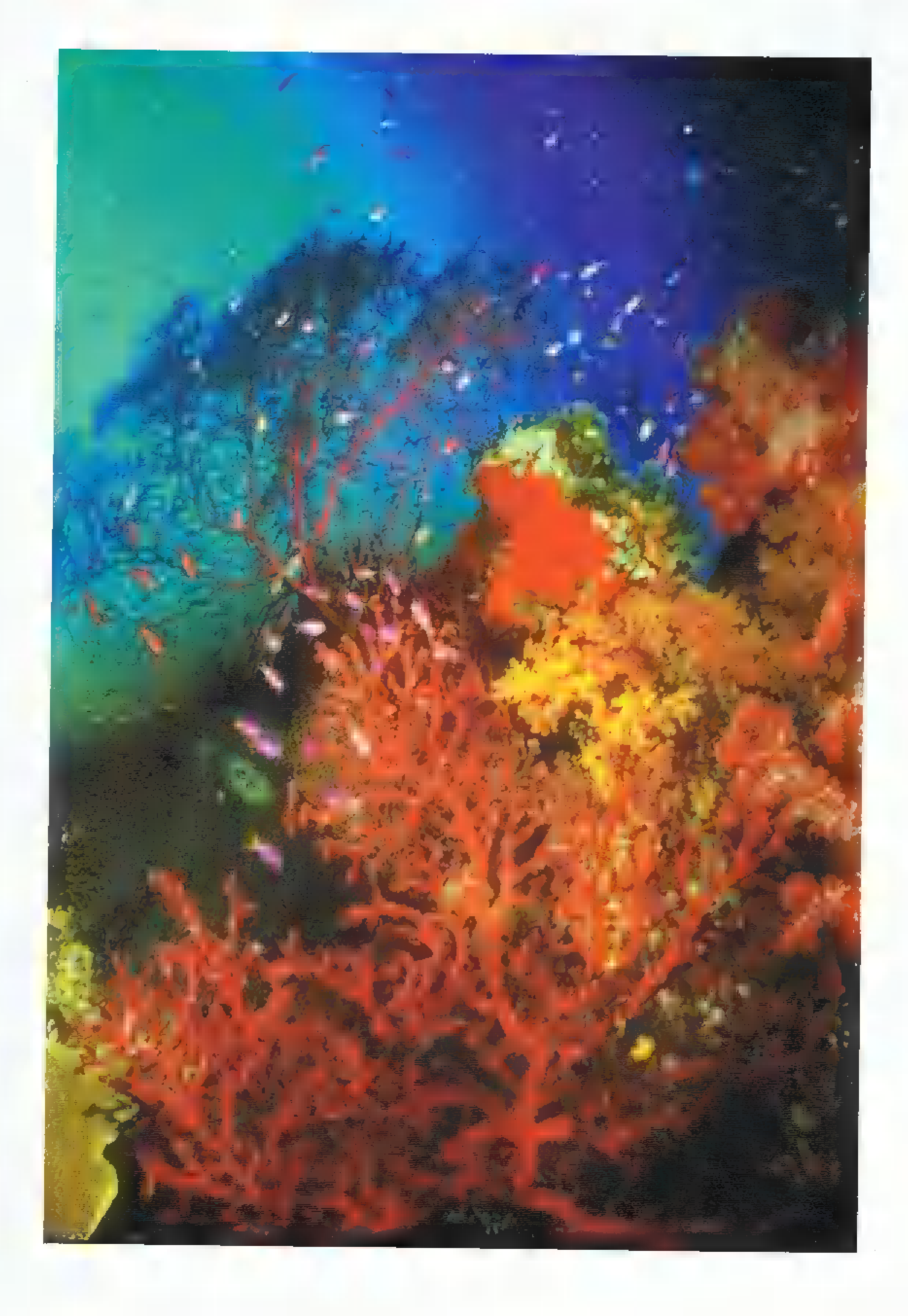
«**يقوم حيوانُ المَرْجانِ (البوليب) بتكوين هيكله الخارجي منْ كربوناتِ الكالسيومْ، ويساعده في ذلك طحالب تعيش معه تكافلياً، ويقومُ ببناءِ هَيْكَلٍ يُشبهُ الفِنجانَ حوْلَ جِسمِهِ الطّريّ، وبالتّدريجِ يتكاثَرُ ويتحوَّلُ إلى تجمُّعٍ ضخْمٍ، وهو يَتَشَكّلُ ويتلوّنُ حسبَ نوع المرَجان، يعيشُ بالقُرْبِ منْ سواحِلِ البِحارِ، وخصوصاً البحرَ الأحمرَ في مياهٍ غير عميقةٍ، وحرارتُها غير بارِدَةٍ، ويصِلُها ضوْءُ الشّمسِ بوضوحٍ، وتكونُ مُلوحتُها مُناسبةً**».

نظرتُ إلى جدّي فوجدتُهُ كأنّهُ، كان يتألّمُ منْ شيءٍ ما، وكانَ العرقُ يتصبّبُ منهُ بشكلٍ واضحٍ. هجمْنا، أبي وأنا نحوَهُ وحضناهُ وتساءَلْنا: هلْ تشكو منْ شيءٍ ما؟

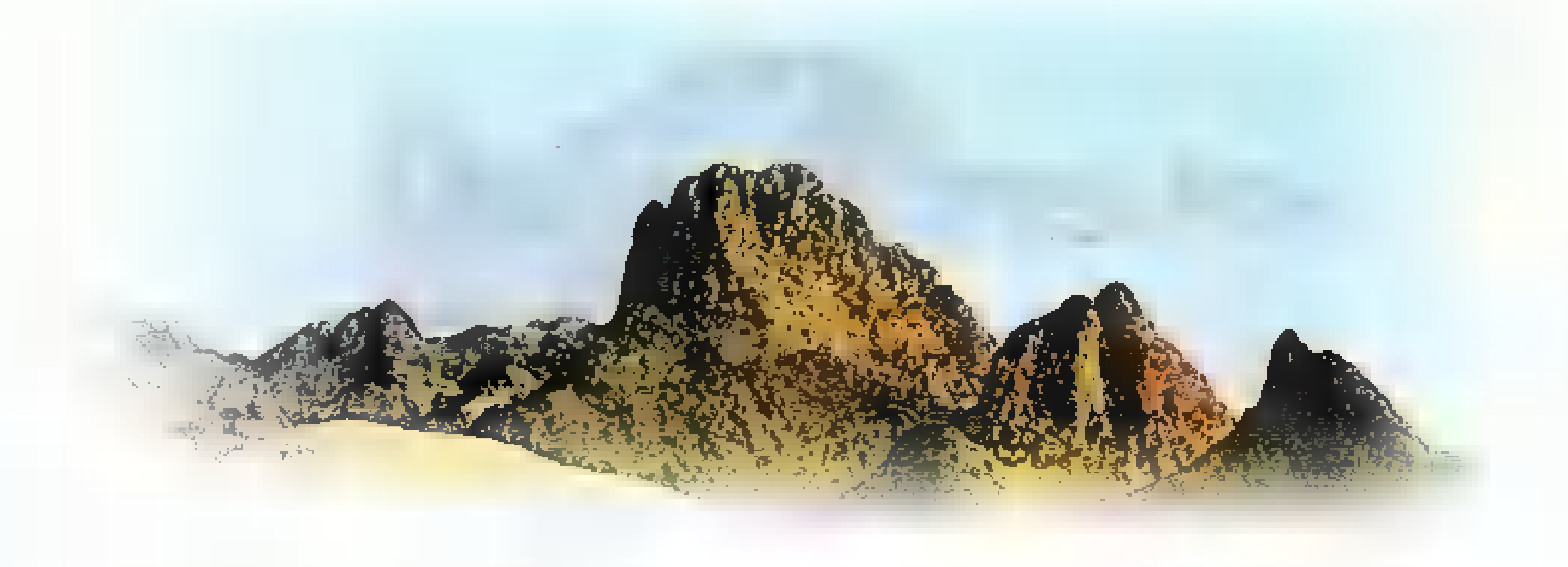
ربّتَ على كتفَيْنا ثُمّ حضَننا... وقالَ: إنّها حالةٌ عارِضةٌ، رُبّما كانتْ بسببِ الإرْهاقِ والتّعبِ وقِلّةِ النّوم.

علّقتُ مُتسائلاً: لماذا لا تَذْهَبُ إلى غُرْفَتِكَ، تستريحُ وتنالُ كِفايتَكَ منَ النّومِ، وتتركُ قِيادةَ المركبِ لأبي؟

أجابَ: بارَكَ اللهُ فيكُما، وجعلَكما خلفاً صالِحاً لي، ثُمّ قالَ: لمْ يبقَ على وُصولِنا إلى عدنَ إلاّ وقتٌ قليلٌ.







غابَتْ عنْ عيونِنا اليابِسَةُ، ولمْ يعد يظهرُ لنا إلاّ رُؤوسُ الجِبالِ العالِيَةِ، ثُمّ أخذَتْ تخْتَفي تدريجياً. هديرُ أمواجٍ منْ خارِجِ المركبِ، وهديرُ الماكيناتِ منْ داخِلِهِ هو ما كُنّا نسمعُه. صادَفَتْنا سفُنٌ كثيرةٌ كانتْ تُطلِقُ العَنانَ لِصفّاراتِها مُحيِّيَةً، كذلِكَ كُنّا نفعلُ نحنُ، وكانَ مَنْ عليها يُلَوّحُ لنا ونُلَوِّحُ بأَيّ قطعَةِ قُماشٍ أوْ حتّى بِالملابِسِ.

أَخذَتْ أسرابُ الأَسماكِ تظْهَرُ لنا، بِألوانِها وأَشْكالِها وأَحجامِها وأَنواعِها المُختلِفَةِ، كَأَنّها مِنْ جِنسِ الشّعابِ المَرْجانِيّةِ الّتي تعيشُ في بيئتِها، وبينَ جُحورِها ومُنْعطفاتِها ونُتوءاتِها. أَشْفقْتُ على جدّي مِنْ مشقّةِ النّظرَ والمُتابعَةِ، فسأَلْتُ أبي عنْ أنواعِ الأَسماكِ الّتي أَراها، فأخذَ يُعدّدُ أسماءً كثيرةً، سمِعتُ وأكَلْتُ بعضَها منْ قبْلُ، وبعْضُها الآخَرُ رأيتُهُ وسَمِعْتُ بٱسمِهِ لأوّلِ مرّةٍ.

لفتَ ٱنتباهي ونَظَري سرب من الأسماك الضخمة تقفز فوق الماء، قال أبي: هذه قطعان عرائس البحر ، فسألْتُهُ مُمازِحاً: عروسَةٌ وبهذِهِ الضّخامةِ؟ ضحِكَ أبي... وعلّقَ... هُوَ ٱسْمٌ غريبٌ فِعْلاً. ومضى إلى عملِهِ.

عالم من الغرائب

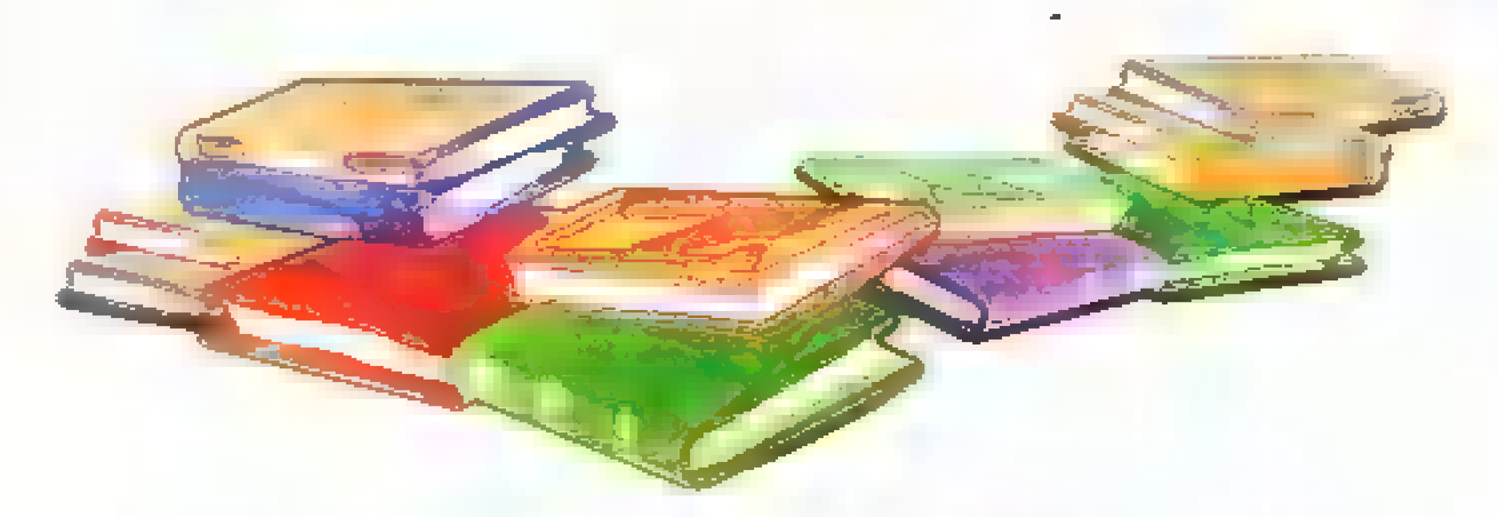
... قلّبتُ الأوراقَ الّتي كانت بينَ يديّ، فوجدتُ التّالي عنْ «عروسِ البحرِ»: **«ليْستْ عروسُ البحرِ كالّتي نراها في الأفلامِ، بلْ هي نوعٌ من أنواعِ الثدّيياتِ البحريّةِ، وهو حيوانٌ هادئٌ غيرُ مؤذٍ، يوجدُ في الخُلجانِ والمياهِ الضّحْلةِ الهادئةِ والمعزولةِ، والتي تتميّزُ بوجودِ حشائشَ بحريةٍ تتغذّى عليها»**.

ثم قرأتُ عنِ أسماكِ السّناحِلِ والقِشرِ والشّاعورِ والسّيجانِ والبياضِ والبيهارِ.وعنِ المِشطِ، وهي تُشبهُ المِشطَ فِعلاً، ويُقالُ لها، أضافَ أبي: الطّبقُ أيضاً، والسّردينِ والتّونةِ والعنبرِ والحَريدِ وشُرْيف وريشٍ وخيارِ البحرِ ـ يُشبهُ الخيارَ فِعلاً ـ والدّلْفينِ والحوتِ وسمكِ القِرشِ وغيرِها.

تابعْتُ مُطارَداتِ الأَسماكِ وحَركتِها، وأَبْهجَتني أَلوانُ وأَشكالُ بعضِها، ثُمّ ساءلْتُ نفْسي: تُرى! كيفَ تتخاطَبُ فيما بينَها؟ هلْ تُرسِلُ إشاراتٍ أو أصواتاً مُعيّنةً؟







عُدْتُ إلى أوراقي... فوجدتُ التّالي:

«تَستخدِمُ أسماكُ الشّعابِ المَرجانيّةِ مجموعةً مُتنوّعةً منَ الإشاراتِ البصريّةِ كوسيلةٍ للتّفاهُمِ والاتّصالِ فيما بينها، فسمكةُ الملاكِ أو سمكة التنظيف ـ طبيبةُ الأسماكِ ـ تنطلقُ بِسرعةٍ وتتراقصُ، في إشارةٍ منها إلى أنّها مُستعدّةٌ لتقديمِ خدماتِ التّنظيفِ للأسماكِ الأُخرى، فتردُّ عليها سمكةُ الحريدِ كيْ تُخبِرَها أنّها مُستعدّةٌ لذلكَ، فتسكنُ ورأْسُها إلى أعلى، حيثُ تحومُ سمكةُ الملاكِ حولَ جِسمِها مُلتقِطَةً الطُّفَيْلِيّاتِ عنهُ.

أمّا سمكةُ أبو شيتَةَ فإنّها تُغيّرُ لونَ جِسمِها، منَ الفضّيّ إلى الرّماديّ الدّاكنِ، إشارةً إلى أنّها مُستعدّةٌ للتّنظيفِ، وبِمُجرّدِ أنْ تنتهيَ سمكةُ الملاكِ من تنظيفِها، يعودُ جِسمُها إلى اللّونِ الفضيّ مرّةً أُخرى. وسمكةُ «الباراكودا» أيضاً تُغيّرُ لونَ جِسمِها، منَ الفِضّيّ إلى الرّماديّ الدّاكنِ، لكنّ هذا التغيُّرَ في اللّونِ يكونُ إشارةً إلى بَدْءِ القتالِ دِفاعاً عنْ مِنطقةِ نُفوذِها. وكثيرٌ من أسماكِ الشّعابِ يُغيّرُ لونَهُ، في اللّيلِ وأثناءَ موسِمِ التّكاثُرِ».

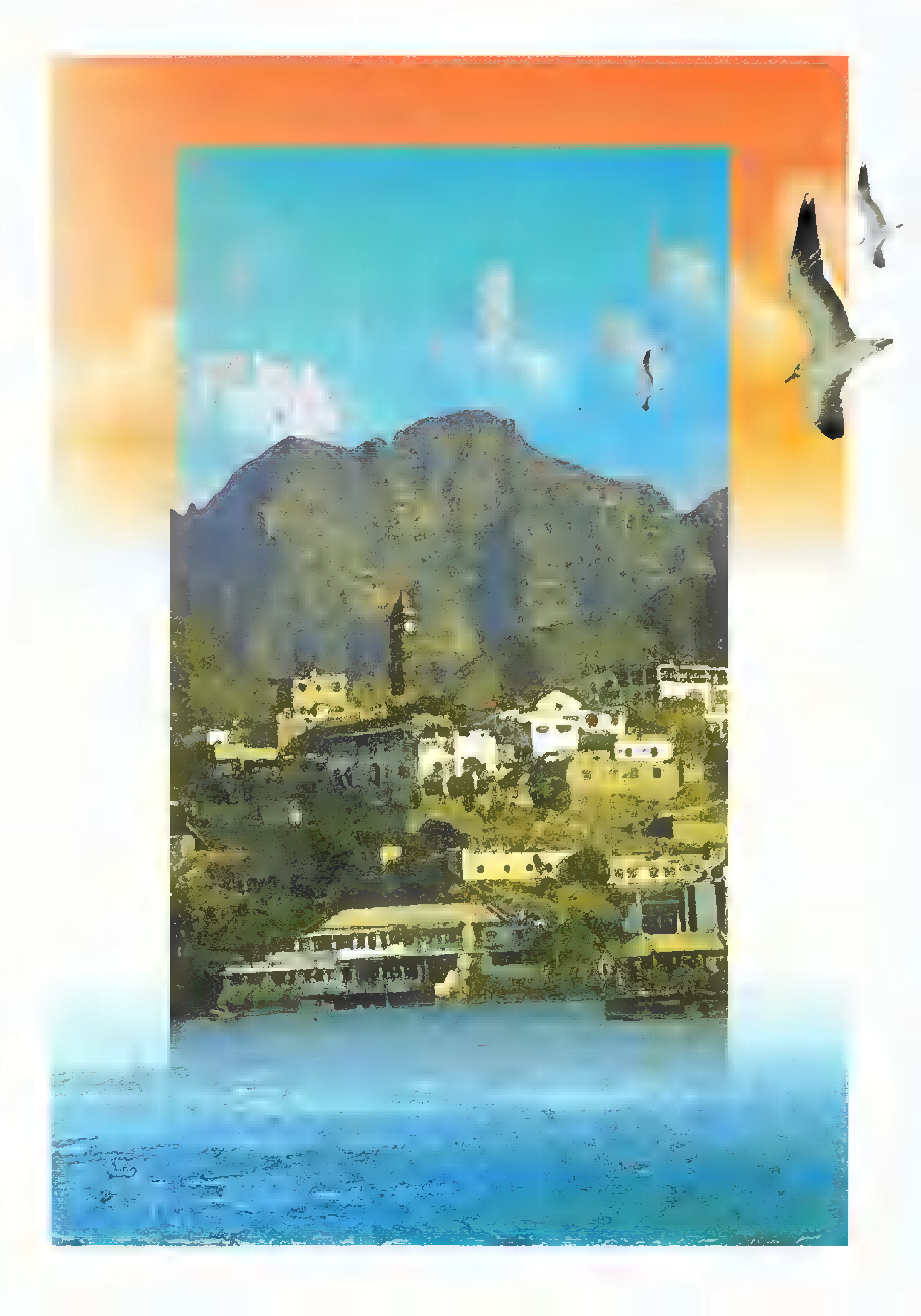
هتفتُ بِصوتٍ مسموعٍ: كما على اليابسةِ منْ غرائبَ، فإنّ البحرَ يحتوي على أشباهِها أيْضاً، حقاً إنّ للهِ في خلقهِ شُؤوناً.

إلتفتَ جدّي نحوي... وقالَ مُبتسِماً: أراكَ تُكلّمُ نفسَكَ يا حفيدي؟!

أجبْتُ على الفوْرِ: كنتُ أقرأُ عنْ عجائبِ الأسماكِ وسُكّانِ البحرِ.

ضحِكَ جدّي مُعلّقاً: المثلُ يقولُ: عِشْ كثيراً ترَ كثيراً، وتعرفْ أكثرَ.





بشائر النوارس

أخذتْ طُيورُ النّوْرسِ تلوحُ لنا منْ بعيدٍ، ثُمّ أخذتْ تقتربُ منَ المركبِ رُويداً رويداً. قال جدّي: لقدْ أخذْنا نقترِبُ منَ الحدودِ البحريّةِ لليمن.

لاحتْ لناظري مجموعةُ أشجارٍ، كأنّها غابةٌ بالقُربِ منْ إحدى الجُزرِ،نظرَ جدّي حيثُ أنظرُ وسألني: هلْ تعرِفُها؟ قُلتُ: إنّها لا تخفى على أحدٍ، إنّها منَ الأشجارِ الغريبةِ، لا تنْمو إلاّ في بيئةِ المياهِ المالحةِ، واسمُها الشّورى أوِ «المانْغروفُ» كما قرأت عنها.

تم سألْتُهُ... نحنُ الآنَ يا جدّي بِالقُربِ منْ بابِ المَنْدِبِ. فلماذا سُمّيَ كذَلِكَ؟

وضحِكَ جدّي على الرَّغْمِ منْ سيماءِ التّعبِ والإرهاقِ البادِيةِ عليهِ... وقال: هُناكَ عدّةُ أَقاويلَ وحِكاياتٍ يا ولدي، أبرزُها أنّ البابَ يجمعُ مياهاً مختلفةً مواصفاتُهُ، ورياحاً مختلفةً في شدّةِ الهبوبِ، ومدّاً وجَزْراً مختلفَينِ، وأمواجاً تكونُ عاتيةً أحياناً. وهكذا، فإنّ بعضَ القواربِ والسُّفن كانتْ تتحطّمُ وهي مُتّجِهةٌ منَ البحرِ الأحمرِ إلى المُحيطِ الهنديِّ أوْ بالعكَسِ، ويسقُطُ رُكّابُها ضحايا ويموتونَ، فيحصُلُ النّدْبُ والبُكاءُ والعويلُ عليهِمْ، لذا سُمّيَّ ببابِ المندِبِ!

أخذَتْ رؤوسُ الجِبالِ تلوحُ لنا منْ بعيدٍ، وأَخذتِ النّوارسُ تطيرُ فوقَ رُؤوسِنا، علّها تجِدُ قوتاً لها. بدأتْ معالِمُ عدنَ تتّضِحُ أكثرَ فأكثرَ... قالَ جدّي: ها نحنُ نقتربِ منْ وطنِنا الأصليّ... ها نحنُ على مشارِفِ عدنَ، فانفرجَتْ أساريري، وبانَتِ الفرحةُ في عينيَّ وفي كُلِّ كياني، وأخذتُ أُصفّقُ وأُهلّلُ، وانضمَّ إليَّ البحّارةُ الآخرون.

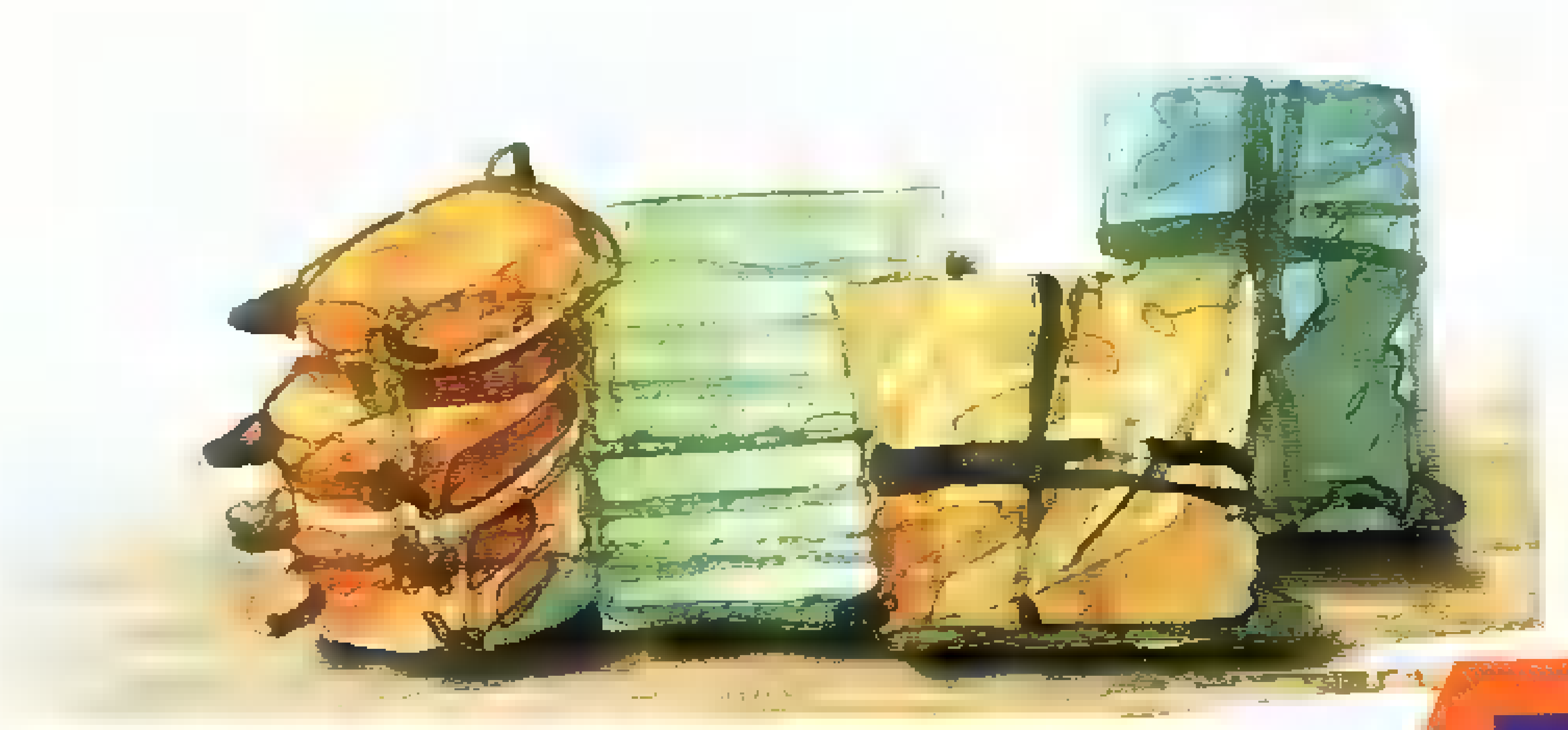
نزلتْ دموعي فَرَحاً، عندما وجدتُ عمّي ناصِراً في الميناءِ ينتظرُ. فتوجّهتُ إليهِ راكِضاً وتعانقنا، وحضنَ كلٌّ منّا الآخرَ... قالَ وهو يجيشُ بالعواطِفِ: لقدْ كبِرْتَ يا ناجي، ثُمّ توجّهَ نحوَ جدّي وأبي وتعانقوا وقبّلوا بعضُهم بعضاً. ثُمّ باشرَ العُمّالُ تفريغَ شُحنةِ الخضرواتِ والفواكِهِ الّتي أحضرْناها معنا.

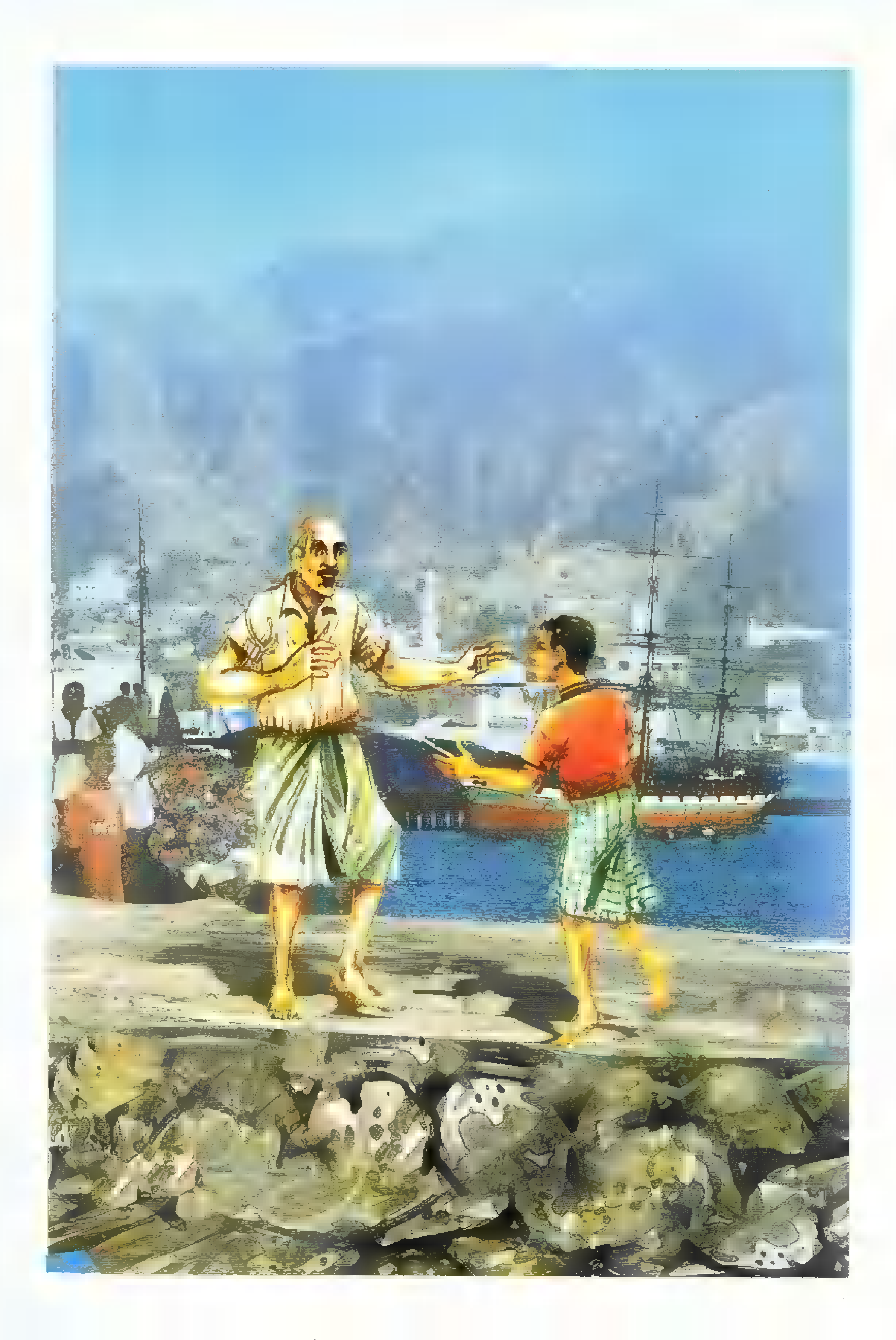
عِندَما أخذْنا قِسطاً منَ الرّاحةِ، في مكتبِنا الّذي يتولّى إدارتَهُ، عمّي ناصرٌ، في ميناءِ عدنَ، قدّم عمي كشْفاً تفصيلياً لجدّي بالصّفقاتِ والاتّفاقاتِ الّتي عقدَها معَ التّجارِ والحكوماتِ، كي ينقُلَ لهمْ ولها البضائعَ بواسِطَةِ مركِبنا «اليمنِ»:

- نقْلُ شُحنةِ بُنٍّ وحِنّاءٍ منْ عدنَ والحُدَيْدةَ في اليمنِ، إلى جُدّةَ في السّعوديّة.

- تجميعُ شُحنةِ موزٍ وأصماغٍ وحِنّاءٍ، منْ بربرَة في الصّومالِ ومُصَوّعَ في أرتيريا، ونقلُها إلى عدنَ والحُدَيْدَةَ في اليمنِ.

- نقْلُ حَمْضيات - بُرتُقالٍ وحامضٍ - منْ جيبّوتي - بعدَ استيرادِها عنْ طريقِ سِكّةِ الحديدِ منْ أثيوبيا - إلى بورسودانَ في السودانِ.





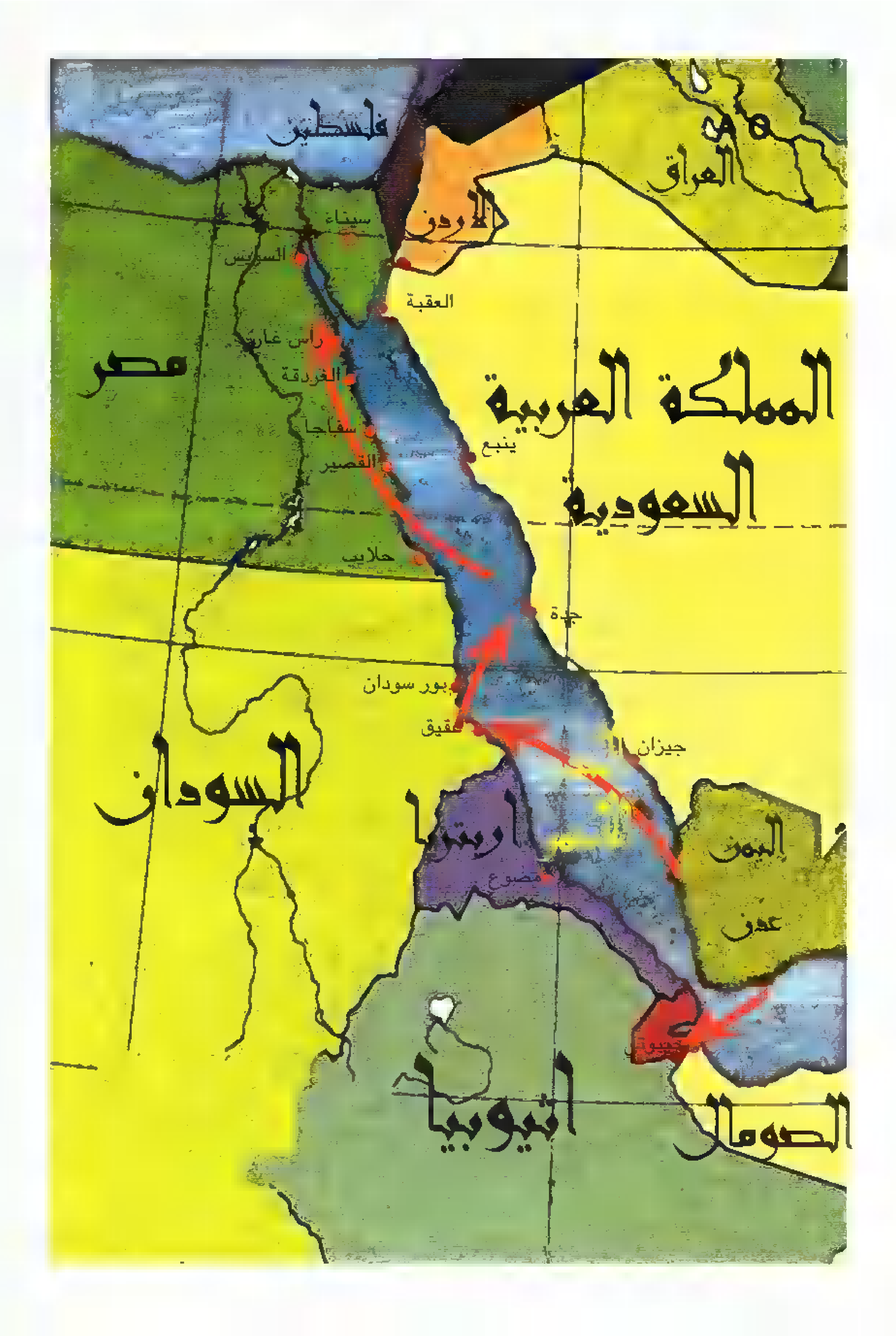
ـ جمعُ كَمّياتٍ مُحدّدةٍ منَ الحِنّاءِ والسُّكّرِ والأَصماغِ والأَطايبِ المُعطّرةِ والموزِ، منْ بّور سودانَ، ونقلُها إلى جُدّةَ في السّعوديّة.

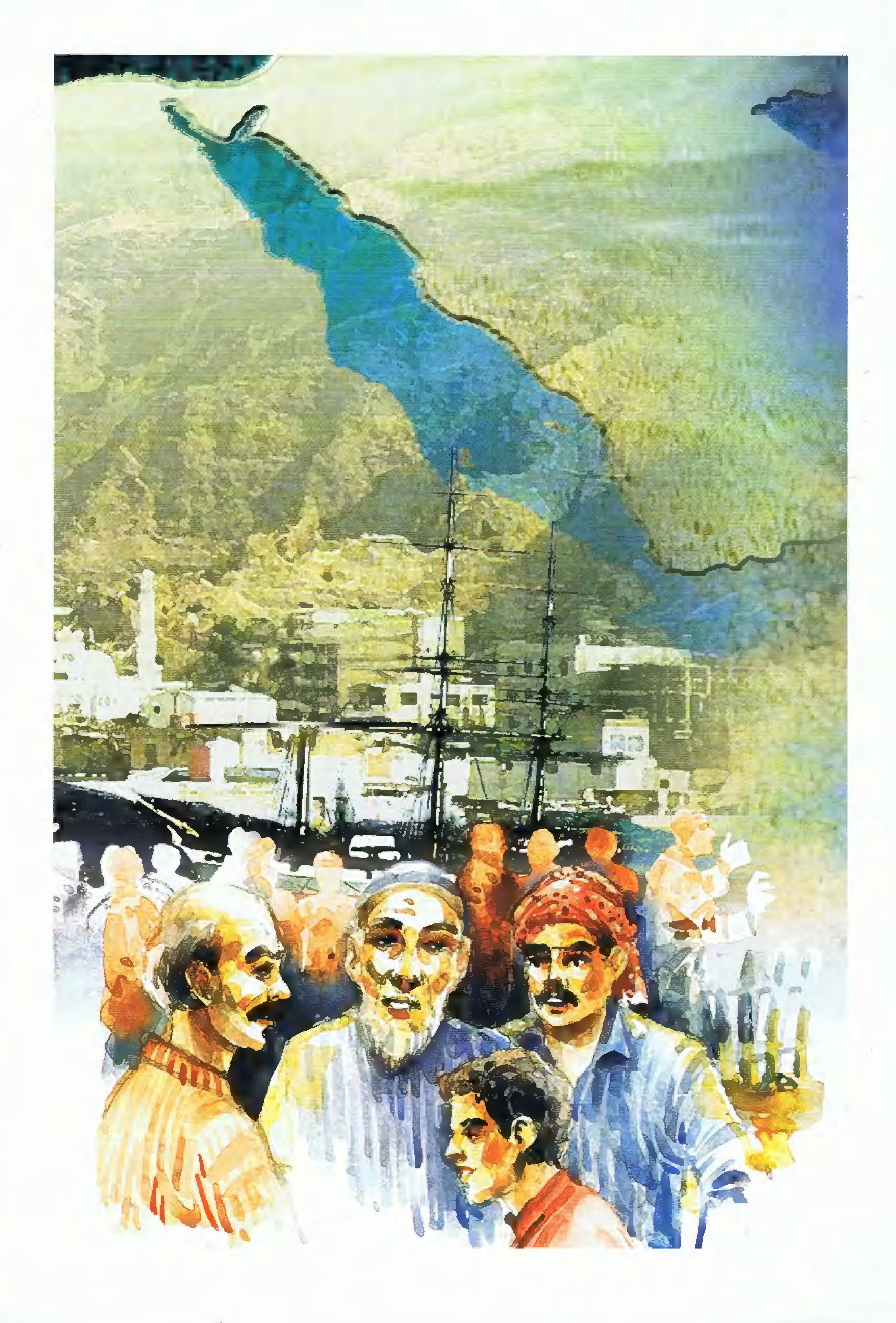
ـ نقلُ كمّياتٍ منَ التُّمورِ السّعوديّةِ إلى موانئِ الشّمال: في السّويسِ غرْباً في مصرَ، وفي العقبةِ شَرْقاً في الأُردُنّ.

ـ جمعُ شُحنةٍ منَ المانغو والبطاطا والبصلِ والصّناعاتِ القُطنيّةِ والرّزّ، ونقلُها منْ ميناءِ السّويسِ إلى ميناءِ العقبةِ أو جُدّةَ، وغيرِها منْ موانئِ البحرِ الأحمرِ.

ـ نقْلُ شُحناتٍ منَ الحَمْضيّاتِ والخضرواتِ الطّازَجةِ، منْ ميناءِ العقبةِ إلى الموانئِ الأُخرى، وخصوصاً جُدّةَ.

علّقتُ بعدَ طولِ صبرٍ: أيْ الانتقالُ والتّعامُلُ مع الموانئِ المُهمّةِ الواقعةِ على البحرِ الأحمرِ جميعِها.


فلسطين
العراق
الاردن
سيناء
السويس
العقبة
راس غارب
الغردقة
سفاجا
القصير
مصر
المملكة العربية السعودية
ينبع
حلايب
جدة
بور سودان
عقيق
جيزان
السودان
اريتريا
اليمن
مصوع
عدن
جيبوتي
اثيوبيا
الصومال



ربّتَ جَدّي على كتِفي... وقالَ: عافاكَ يا ناجي، هكذا أصبحْتَ تعرِفُ البُلدانَ الواقعةَ على البحرِ الّذي نعيشُ منْ خيْراتِهِ، ثمّ أضافَ قائلاً لأبي: إسمعْ يا سعيدُ: هذه هي رِحلتي الأخيرةُ على المَركبِ، أنا تَعِبٌ ومُرهَقٌ. إنّ قُبطانَ أيِّ مركبٍ لا يتخلّى عنِ القيادَةِ إلاّ بسببٍ قاهرٍ، وكِبَرُ السّنِّ والأمراضُ هيَ أسبابي القاهِرَةُ. خُذْ صورةً عن كشْفِ الصّفقاتِ والاتّفاقياتِ، وتابعِ الرّحلاتِ كالمُعتادِ أنتَ والبحّارَةُ، واصطَحِبْ معكَ ناجي دائِماً في أَشْهُرِ الإجازاتِ المدرسيّةِ في الصّيفِ. صِحّتي باتتْ لا تُساعِدُني على الاستمرارِ في العملِ كالسّابقِ، سأُساعِدُ ناصراً في إدارةِ مكتبِ عدنَ، أمّا أنتَ فستقودُ مركبَنا «اليمنَ».

توجّهنا نحوَهُ أنا ووالدي وعمّي، وأَخذْنا في تقبيلِ يَدَيْهِ ووجهِهِ ورَأْسِهِ، داعينَ لهُ بِالصّحّةِ وطولِ العُمرِ، مُهَوّنينَ عليهِ الأمراضَ والمصاعِبَ.

قالَ بِصوتٍ مَخْنوقٍ لأبي: لا تنْسَ يا سعيدُ أنْ تُرسِلَ ناجي للدّراسةِ في معهدِ علومِ البِحارِ، في الإسْكندريّةِ بمصرَ، بعدَ نجاحِهِ في الثانويّةِ العامّةِ. لقدْ عرفَ جيلُنا البحرَ عنْ طريقِ الخِبرَةِ والمِرانِ. أمّا ناجي فيجِبُ أَنْ يُمارِسُ مِهنَتَهُ عنْ طريقِ الدّراسةِ والخِبرَةِ معاً.. وفّقكُمُ اللهُ.. ونظرَ مليّاً وبِحنانٍ إلينا وإلى البحّارةِ والمَركبِ، ثمَّ حضَننا وحضَنّاه، وأَخَذَ يحضُنُ البحّارةَ الواحِدَ بعدَ الآخرِ، ثُمّ انتشَلَ نفسَهُ منَ الحالةِ العاطفيّةِ... وقالَ بصوْتٍ مُتهدّجٍ: وفّقكُمُ اللهُ... ونجّاكُمْ... إلى العَملِ يا شباب.

استفاد هذا النص من معلومات وردت في المصادر التالية:

١ـ كتاب «البحر الأحمر... روعة المكان وأنشطة البشر»، تأليف الأساتذة: حسن أبو بكر، هالة عادل ومحمود خميس.

٢ـ دراسة بعنوان «إقليم البحر الأحمر وخليج عدن» من إعداد الدكتور ضرار حسن نصر.

٣ـ إستطلاعان عن عدن وجيبوتي منشوران في مجلة «العربي» الكويتية من إعداد كاتب النص.





سلسلة مرجان ومرجانة

للأطفال من عمر ٨ ـ ١٢ سنة.

تنشر الهيئة الإقليمية للمحافظة على البحر الأحمر وخليج عدن هذه السلسلة بالتعاون مع دار الحدائق. وهي تهدف إلى التعريف بالبحر الأحمر وخليج عدن وبيئتهما وإلى ضرورة المحافظة عليهما.

صدر منها:

- مغامرات مرجان ومرجانة
- نجمة البحر
- إلعب فكر واحزر مع مرجان ومرجانة
- ناجي الصغير يتعرف إلى كنوز البحر الأحمر
- قاموسي المصوَّر للبحر الأحمر
- نعمان في قرية المرجان

دار الحدائق

للطباعة والنشر والتوزيع

ص.ب. ٢٥/٢١٦ بيروت، لبنان

هـ: ‎+٩٦١ ١ ٨٢١٦٧٩‎ ‎+٩٦١ ١ ٨٤٠٣٨٩‎

ف: ‎+٩٦١ ١ ٨٤٠٣٩٠‎

البريد الالكتروني: al-hadaek@idm.net.lb



الهيئة الإقليمية للمحافظة على بيئة البحر الأحمر وخليج عدن

ص.ب: ٥٣٦٦٢ جدة ٢١٥٨٣

هـ: ‎+٩٦٦ (٢) ٦٥٧ ٣٢٢٤‎ ف: ‎+٩٦٦ (٢) ٦٥٢ ١٩٠١‎

الموقع الإلكتروني: www.persga.org